حسن الإفادة
من تدبر آية المائدة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ...﴾

تأليف

أ.د. إبراهيم بن عامر الرحيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فإن الله أنزل كتابه ليتدبر ويعمل بما فيه - قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فقد وصف الله كتابه بوصفين عظيمين:

الأول: أنه منزل من الله.

والثاني: أنه مبارك.

وهذا يدل على عظم فضل القرآن، فالكلام يشرف بشرف المتكلم به وبشرف موضوعه، وهاتان الفضيلتان قد اجتمعتا في القرآن فالوصف الأول يدل فضله باعتبار المتكلم به وهو رب العالمين، والثاني يدل على فضله باعتبار موضوعه وأنه مبارك في نفسه.

ثم حض الله حياله على أمرين وهما التدبر له، والتفكر فيه والتدبر

هو التفهم والتعقل والتفكر هو الاتعاض بما فيه من القصص والحكم[1]، وهذا من أعظم ما يورث العلم بالشرع.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «من أراد العلم، فليقرأ القرآن؛ فإن فيه علم الأولّين والآخرين»[2].

وقد كنت ذكرت بعض الفوائد أثناء شرحي للآية الرابعة والخمسين من سورة المائدة في بعض الدروس في المسجد النبوي وهي قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٤] فاستحسنها بعض طلاب العلم، ثم أعدت النظر في تدبر هذه الآية الكريمة مع مزيد الاطلاع على بعض كلام المفسرين فيها، فاجتمعت لي جملة من الفوائد رأيت تدوينها في هذه العجالة ليعمَّ الانتفاع بها، والله ولي التوفيق.

---

(١) انظر: أضواء البيان (٦/ ٣٤٤).

(٢) التبيان للنووي، ص ٢٨.

قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

وقد اشتملت هذه الآية على فوائد عظيمة:

الأولى: فيها إشارة للردة التي حصلت من بعض العرب بعد موت النبي ﷺ.

قال الحسن: «علم الله تبارك وتعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه»(١).

الثانية: فيها دلالة أن الردة لاتكون إلا بعد إيمان بدلالة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ﴾ وهذه حقيقة الردة فإنها لاتكون إلا بعد الإيمان وعلى ذلك ترتبت الأحكام في التفريق بين المرتد والكافر الأصلي.

الثالثة: أن الدين الحق هو الإسلام لقوله تعالى ﴿عَن دِينِهِۦ﴾ فعبر

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٦٩).

بالدين عن الإسلام، ولم يقل ارتد عن الإسلام وشاهده قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

الرابعة: أن الدين الذي أمر به العباد هو الإسلام ولايقبل الله سواه فأضاف الله الدين للمرتد قبل الردة فقال: ﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ ولم يثبت له دينًا بعد الردة فلم يقل ارتد إلى دين كذا.

الخامسة: أن الحكم الشرعي إنما يترتب على ما علمه الله موجودا في الناس، لا مايعلم أنه سيقع منهم بسابق علمه، فقد علم أن من المؤمنين في ذلك الوقت الذين هم داخلون في عموم خطابه بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من يرتد عن دينه فلا يكون مؤمنًا باعتبار العاقبة، ومع هذا خاطبهم باسم الإيمان لمّا لم يقع منهم الكفر حينئذ.

وفيه شاهد لمسألة دقيقة في التفريق بين نوعي علمه السابق للعمل الذي لايترتب عليه الجزاء، وعلمه المصاحب لفعل العبد الذي يتعلق به الجزاء، وهي من دقائق العلم التي أشكلت على الأشاعرة فزعموا أنه تعالى لا يتجدد له فعل، حتى زعموا أنه يحب الكافر في حال كفره إن علم أنه يوافيه على الإيمان، ويبغض المؤمن حال إيمانه إن علم أنه يوافيه على الكفر.

قال شيخ الإسلام في سياق حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]:

«قال جماعة من أهل العلم قالوا لنعلمه موجودًا واقعًا بعد أن كان قد علم أنه سيكون، ولفظ بعضهم قال: العلم على منزلتين علم بالشيء قبل وجوده، وعلم به بعد وجوده، والحكم للعلم به بعد وجوده؛ لأنه يوجب الثواب والعقاب، قال: فمعنى قوله ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب، ولا ريب أنه كان عالما سبحانه بأنه سيكون لكن لم يكن المعلوم قد وجد»(١).

السادسة: في قوله ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ إشارة إلى أن الردة لا تقع منهم كلهم، فلم يقل: (إن ارتددتم)، وهذا ماثبت في الواقع؛ فإن الردة وقعت من بعض الأعراب، وثبت أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار على دينهم وحاربوا المرتدين.

السابعة: قوله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾حيث جاء السياق بالفعل

---

(١) الرد على المنطقيين (ص: ٤٦٦).

المضارع الدال على المستقبل، دليل على أن الردة لم تقع وإنما ستقع في المستقبل، فلم يذكر الفعل الماضي الدال على وقوع الأمر فيقول: (من ارتد)، وهذا بخلاف خبره سبحانه عما وقع في عهد النبي ﷺ من مخالفات كالنفاق؛ فأخبر عنه بالفعل الماضي كما في قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ [آل عمران: ٦٧] وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ [الحشر: ١١].

الثامنة: قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ﴾ فأضاف الإتيان له ولم يضفه للقوم، فيقول: (يأتي قوم) دليل أن الفضل بيد الله، وهذا في مقابل إضافة الردة للمرتد في قوله ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾.

وشاهده من كتاب الله قول الخليل: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: ٨٠] فأضاف المرض لنفسه والشفاء لربه.

وكذا قول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ١٠] فأضافوا الخير لله، والشر لما لم يسمَّ فاعله.

التاسعة: قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ وهو جواب للشرط في قوله: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ فيه بشارة عظيمة للأمة أن من ارتد منها

فسوف يعوض الله الأمة بقوم خيرٍ من المرتدين، وهم الموصوفون بالصفات العظيمة في الآية.

العاشرة: في السياق السابق دليل أن العوض من الله أعظم ممن ذهب من أهل الردة من جهتين:

أولا: من جهة العدد؛ فذكر الله الردة بضمير الإفراد فقال: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ ولم يقل (المرتدون منكم)، وذكر العوض بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ فذكر أنهم قوم في مقابل ردة واحد.

ثانيا: من جهة الوصف؛ فالمرتدون قد حبط عملهم بالردة لا نفع للأمة بهم، وهم قبل الردة ضعيفو الإيمان أثرهم في الأمة ضعيف، والمعوَّض بهم مؤمنون موصوفون بصفات عظيمة في الإيمان، كما دل على ذلك قوله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ إلى آخر الآية.

الحادية عشرة: قوله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ اختلف في المراد بهؤلاء القوم على ستة أقوال:

أحدها: أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الرِّدَّة، قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن جريج.

الثاني: أبو بكر، وعمر، روي عن الحسن أيضـًا.

والثالث: أنهم قومُ أبي موسى الأشعريّ.

والرابع: أنهم أهل اليمن، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

والخامس: أنهم الأنصار، قاله السدي.

والســادس: أنهم المهاجرون والأنصــار، ذكره أبو ســليمان الدمشقي[(١)].

الثانية عشــرة: أن هذا الخلاف المأثور عن الســلف لا يدل اختصاص من ذكروا بأن هذه الصفات التي وصف بها القوم الذين سـيأتي بهم الله لا توجد في غيرهم، وإنما المقصــود أنها تحققت في أولئك الذين جاءوا بعد المرتدين الذين ارتدوا بعد موت النبي ﷺ على -اختلاف في المقصود به - وهي عامة في الأمة؛ فلا يرتد منهم أحد عن دينه إلا عوض الله الأمة بهؤلاء الموصـوفين كما حصـل هذا في صدر الأمة.

وقد حقق هذا شــيخ الإســلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقال: «قوله

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٥٩).

تبارك وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خطاب لكل من بلغه القرآن من المؤمنين كسائر أنواع هذا الخطاب، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦] وأمثالها، وكذلك قوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ [النور: ٥٥]، وكلاهما وقع ويقع كما أخبر الله عز وجل، فإنه ما ارتد عن الإسلام طائفة إلا أتى الله بقوم يحبهم يجاهدون عنه وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

يبين ذلك أنه ذكر هذا في سياق النهي عن موالاة الكفار، فقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ - إلى قوله - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٢-٥٤]. فالمخاطبون بالنهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة، ومعلوم أن هذا يتناول جميع قرون الأمة.

وأهل اليمن هم ممن جاء الله بهم لما ارتد من ارتد إذ ذاك،وليست الآية مختصة بهم ولا في الحديث ما يوجب

تخصيصهم، بل قد أخبر الله أنه يأتي بغير أهل اليمن كأبناء فارس لا يختص الوعد بهم»[١].

الثالثة عشرة: قوله ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ فيه إثبات صفة المحبة لله تعالى وهي صفة فعلية تتعلق بمشيئته وموجبها طاعة العبد، قال تعالى في الحديث القدسي: «**وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**"[٢].

الرابعة عشرة: قوله: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ فيه دلالة على محبة المؤمنين لربهم وهي أعظم خصال الإيمان القلبية، وباعثها مشهد الكمال وهو كماله تبارك وتعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله من كل وجه، وتنزهه عن صفات النقص من كل وجه، ومشهد الإحسان وهو عظيم إحسانه وجوده وكرمه ولطفة بخلقة وتعدد نعمه السابغة عيهم في سائر الأحوال والأوقات.

فهذان المشهدان موجبان لمحبته محبة عظيمة بحسب العلم به، فإن النفوس مجبوله على محبة الكمال والإحسان في المخلوقين، فكيف بكمال الخالق وعظيم إحسانه اللذين لا يدركان بوصف ولا

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ١٠٥).

يلحقهما حصر!!.

الخامسة عشرة: في قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ رد على طوائف من أهل الفلسفة والكلام ومن تابعهم في دعواهم أن الله لايحب أحدا من خلقه، ولايحبه منهم أحد بدعوى أن هذا ممتنع عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأول من أنكر حقيقة محبة الله لعبده والعبد لربه في الإسلام هو الجعد بن درهم، كما يقول هؤلاء المتفلسفة والجهمية والباطنية ونحوهم من المعطلة والجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم فينكرون أن يكون الله يُحَبُّ أو يُحِبُّ حقيقة، وينكرون التمتع برؤيته»[(١)].

السادسة عشرة: في قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قدم الله محبته لهم على محبتهم له، لأن صفة الله وفعله أعظم من صفة العبد، ولأن محبته لهم مثمرة لاستقامتهم الموجبة لمحبتهم له كما جاء في الحديث القدسي: «**فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به**»[(٢)].

(١) الصفدية (٢/ ٢٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ١٠٥).

وقد نبه الواحدي على هذا في تفسير الآية فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بدأ بمحبته لأنها الجالبة والموجبة لمحبتهم، ولا يحب الله إلا من أحبه الله، ولولا محبة الله إياهم ما أحبوه، فهذا طريق في تفسير هذه الآية»[١].

السابعة عشرة: قوله تعالى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فوصفهم بأنهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: هم متذللون متواضعون لهم و﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أي: هم معتزون مغلظون على الكافرين.

قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أهل رقة على أهل دينهم، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أهل غلظة على من خالفهم في دينهم»[٢].

وهذان الوصفان يدلان على ضبط النفس والانقياد للشرع، والاحتساب في معاملة المؤمنين بالرفق والكافرين بالشدة، لأن الأصل في الناس أما أن يكونوا جبلوا على الرفق فيعاملوا به الجميع، أو جبلوا على الشدة فيعاملوا بها الجميع، وأما التفريق السابق فيدل على فضل واحتساب.

---

(١) التفسير البسيط (٧/ ٤٣٠).

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٥٢٧).

الثامنة عشرة: قوله تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ذكر الله (الجهاد مطلقا) ليعم الجهاد بالبدن والمال وبالحجة والبرهان، بخلاف ما لو قال: (يقاتلون) فإنه لا يعم ماتقدم.

التاسـعة عشـرة: ذكر الله المجاهِدِين في سـبيله، ولم يذكر المجاهَدين؛ فلم يقل يجاهدون الكفار أو المنافقين أو المارقين. إذ لو ذكر صنفًا لتقيد الجهاد به دون غيره؛ فبقي الجهاد الموصوف به أولئك القوم الذين وعد الله بالإتيان بهم عامًّا يشـمل جهاد كل من حاد عن الدين دون أن يقيد بصـنف أوطائفة، وهذا من إعجاز القرآن، ومن أعظم الشواهد على أنه من لدن لحكيم عليم.

العشرون: قوله ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ دليل على أن لوم اللائمين أشد ما يكون على المجاهدين.لأن الله لما أثنى على المجاهدين بعدم خوفهم من اللوم دل على أنه أعظم مخوف واكبر عائق عن الجهاد وأنه أشد على المجاهدين من القتل والجراح التي يتعرضون لها في الجهاد، ولهذا ذكره الله ولم يذكر القتل فلم يقل (لا يخافون القتل) فأفاد أن لوم اللائمين أشد من قتل المحاربين. وإنما كان أشد لأنه يكون من الصديق الناصح فوقعه على النفس أشد من قتال العدوالمحارب، ولأن القتل ألمه سريع منقضي،

واللوم بطئ دائم؛ قد يلام الرجل على فعله مدة الحياة.

قال الشاعر:

لقد نالني منها بلاءٌ مشـــدد

بتكرارها لومي ســـراراً وفي الجهر

الحادية والعشـــرون: فائدة جامعة لصـــفات هؤلاء القوم: فقد وصفهم الله بست صفات.

الأولى: يحبهم الله.

الثانية: يحبون الله.

الثالثة: أذلة على المؤمنين.

الرابعة: أعزة على الكافرين.

الخامسة: يجاهدون في سبيل الله.

السادسة: لا يخافون لومة لائم.

الثانية والعشرون: قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فيه دلالة أن ماعليه هؤلاء القوم من تلك الصفات المتقدمة من فضل الله وتوفيقه، وفيه رد على المعتزلة في زعمهم أن الله لم يهد

المهتدي. وتألوا النصوص في ذلك كقوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص: ٥٦] قالوا هدايته للعبد تسميته مهتديا[١].

وهذا الموطن من الآية رد عليهم فإن الله لمّا ذكر وصفه لهم بخصال الإيمان السابقة قال بعدها: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾.

قال الطبري: «وأما قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾؛ فإنه يعني هذا النعتَ الذي نعتهم به تعالى ذكره من أنهم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم؛ فضلُ الله الذي تفضل به عليهم»[٢].

الثالثة والعشرون: قوله تعالى ﴿يُؤۡتِيهِ﴾ فيه إثبات صفة الإيتاء لله تبارك وتعالى وهي صفة فعلية.

قال الشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووصف نفسه بصفة الفعل الذي هو الإيتاء قال: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ [هود: ٣]»[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٤٢٣).

(٢) شفاء العليل (ص: ٨٢).

(٣) الأسماء والصفات نقلا وعقلا (ص: ١٥).

الرابعة والعشرون: قوله تعالى ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فيه إثبات صفة (المشيئة) لله تبارك وتعالى، وهي صفة فعلية دلت عليها الكثير من الأدلة، وهي إحدى مراتب القدر الأربع.

الخامسة والعشرون: قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ﴾ فيه إثبات اسم الله وهو من أعظم أسمائه تبارك وتعالى، وقيل إنه هو الاسم الأعظم، وهومشتق من صفة الألوهية.

السادسة والعشرون: قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾فيه إخبار البارئ عن نفسه باسمه ﴿وَٱللَّهُ﴾ وأنه تبارك وتعالى ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

فلما أخبر عن بعض أسمائه ذكر أنها من أسماء الله ولم يقل هي من أسماء العزير أو العليم.

وهذا يأتي كثيرا في النصوص وقد نبه عليه الإمام ابن القيم حيث قال: في سياق حديثه عن اسم (الله).

«فإِن هذا الاسم هو الجامع، ولهذا تضاف الأَسماءُ الحسنى كلها إليه فيقال: الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أَسماء الله، ولا يقال: الله من أَسماءِ الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ

﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]»[1].

السابعة والعشرون: قوله ﴿وَٰسِعٌ﴾ فيه اثبات اسم (الواسع) وأنه من أسماء الله الحسنى.

و(الواسع): اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فاعل)، ورد في القرآن الكريم تسع مرات منها سبع مرات مقرونًا بـ «عليم» في قوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾ [البقرة: ١١٥].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾: ورد في ست مواطن في (البقرة آية ٢٤٧) و(البقرة آية ٢٦١) و(البقرة آية ٢٦٨) و (آل عمران آية ٧٣) و (المائدة آية ٥٤) و(النور آية ٣٢).

وجاء مضافًا إلى المغفرة مرة واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [النجم: ٣٢].

وجاء مقترنًا باسمه (الحكيم) مرة واحدة كذلك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠﴾ [النساء: ١٣٠].

الثامنة والعشرون: قوله ﴿عَلِيمٞ﴾ فيه إثبات اسم الله (العليم)

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٤٥).

وهو اسم مشهور مشتق من صفة العلم، وقد ذكر أحد الباحثين[1] أن اسم (العليم) قد ورد في القرآن الكريم اثنتين وخمسين ومائة مرة، منها أربعون ومائة مرة بلفظ (عليمٌ) بالرفع، في مثل قوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾ [البقرة: ٢٩]، ومنها اثنتان وعشرون مرة بلفظ (عليمًا) بالنصب، في مثل قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾ [النساء: ١١].

واسم (العليم) والصفة التي اشتق منها وهي صفة (العلم) يرد ذكرهما في القرآن كثيرًا في سياقات متعددة وبألفاظ مختلفة أبلغ مم اذكره الباحث هنا، وقد اقترحت على أحد الباحثين في مرحلة الدكتوراة بقسم العقيدة أن يكون موضوع رسالته لمرحلة الدكتوراه فكتب في ذلك رسالة زاخرة بالمسائل العلمية والفوائد، وعنوان الرسالة «المسائل العقدية المتعلقة بصفة العلم لله تعالى والرد على المخالفين في ضوء الكتاب والسنة» للباحث الدكتور فالح الدوسري، وقد حظيت بالإشراف على هذه الرسالة، فلله الحمد والمنة.

---

(١) انظر مفهوم الأسماء والصفات لسعد ندا(٤٦/ ٥٩).

التاسعة والعشرون: قوله تعالى ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ففي الجمع بين هذين الاسمين كمال فوق الكمال الذي يدل عليه كل واحد منهما على الانفراد.

فاسمه الواسع يدل على سعة الفضل والجود والعطاء. والعليم يدل على الإحاطة العلمية بكل شيء(١).

وفي الجمع بينهما غاية الكمال، ولهذا قل أن يجتمعا في المخلوقين؛ فيوجد الجود في كثير منهم من غير علم فيصحب إنفاقهم إسراف أو إعطاء من لا يستحق، ويوجد العلم في بعضهم من غير جود؛ إما لقلة اليد أو لبخل، والله متصف بالجمع بين الصفتين.

وناسب ختام الآية بهما فإنه لما ذكر امتنانه على القوم الذي سيأتي بهم بعد المرتدين بهذه الفضائل العظيمة؛ دل هذا على سعة فضله. وأما من خُذل بالردة فلم يعصمهم ولم يوفقهم؛ لا لنقص فضله بل لعلمه بمن استحق الفضل ممن لا يستحقه، فإعطاؤه لجود ومنعه لعلم، وهو جواد في حال منعه وعليم في حال إعطائه، ولهذا

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢/ ٥٣٧).

جاءت أقوال المفسرين مشيرة لهذا المعنى.

قال الإمام ابن القيم: «وتأمل كيف ختم هذه الآية بهذين الاسمين ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فإنه واسع العطاء عليم بمن يستحق فضله ومن يستحق عدله، فيعطي هذا بفضله، ويمنع هذا بعدله، وهو بكل شيء عليم»[1].

وقال ابن كثير: «﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه»[2].

هذا والله تعالى أعلم.

وكتبه:

إبراهيم بن عامر الرحيلي

٢٠/ ٣/ ١٤٣٦هـ

(١) التفسير القيم (ص: ١٧١) وانظر تفسير السعدي (ص: ٢٣٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٧).